مدينة القاسم عليه السلام دراسة في تطوُّراتها الاجتماعيَّة والإداريَّة حتَّى عام ١٩٧٠م

أ.د. عاصم حاكم عباس

م.م. تغريد عبيد ناصر

جامعة القادسيَّة/كليَّة التربية/قسم التاريخ

The City of Al-Qasim (PBUH) A Study of it's Social and Administrative Developments Until 1970

Prof. Dr. Asim Hakim Abbas

Asst. Lect. Taghreed Obaid Nasser

Al-Qadisiyah University/College of Education

الملخَّص

حـدَّدت مسارات المدن المدروسة الكينونة الذاتيَّة للدولة، وتركَّزت الأبحاث على مدينـة دون أخرى، ولم يؤخـذ بنظر الاعتبار المـدن الصغيرة وأهميَّتهـا في إطار التمدُّن ومعايـيره، سواء أكانت تلك المدن تمثِّل ظاهرة تاريخيَّـة في تشكيلها ونشاتها، أم تجمعها صفـات مشتركة مع المدن المجـاورة، أم كانت المدينة وليدة معطيـات جغرافيَّة وبشريَّة تداخلـت في عمليَّـة الإيجاد، أم طغيـان العامل الدينيّ هو العنـصر الأساس في نشأتها، والمعـروف أنَّ الزراعة مثلًا تمثِّل النمط الإنتاجيّ السائـد، إذن كيف أثَّرت على الجذب السكَّانيّ الذي يبحث عن الأمن الغذائي وتفاصيله؟.

مايزال حقـل دراسة المدن الصغيرة من الصعوبة بمكـان، يعطي تصوُّرات علميَّة محكمـة، لما يحتاجه الباحث من خلفيَّات تاريخيَّـة دقيقة تغطِّي تاريخ المنطقة، سواء أكان اجتماعيًّا أم اقتصاديًّا أم سياسيًّا، فضلًا عن تطوُّر الحالة العمرانيَّة للمدينة في ظلِّ الأزمنة المتعاقبة.

وانطلاقًـا مـن مقولـة عـالم الاجتـماع الفرنـسي فوستـل دي كولانـج (Fostal de Coulanges) الـذي توصَّـل في دراستـه حـول المـدن، إلَّا أنَّ العامـل الدينـي يعـدُّ رابطًـا أساسيًّا بـين السكَّـان لأيَّة مدينـة، وتلـك العلاقة تكون شـديدة الوشـائج، وتطغى عـلى كلِّ المقـولات الأخرى، والنـاس يستمدُّون قوَّتهـم وبركتهم مـن نظريَّة القـرب للمكان المقـدَّس، وحتَّى العـالم البريطاني آرنولـد جوزيف توينبي

(Arnold J. Toynbee)، يـرى أنَّه لا مناص من رجاحة العنصر الدينيّ على العوامل الأخـرى، وأنَّه مستمر ودائم، ولا يتأثَّر بالجغرافيَّـة وتقلُّباتها في قضيَّة اضمحلال المدن وزوالها، بسبب شحَّة المياه، أو تحوُّل طرق النقل عنها.

وإذا ما تتبَّعنا نشأة المدينة الدينيَّة في العراق، نجد أنَّ المعطيات أعلاه، لا تنفصل عن كثير من حالات المدينة المقدَّسة ذات الوجود الوجدانيّ، وهو ما بحثته الدراسة الخاصَّة في مدينة القاسم المقدَّسة، بوصفها أحدى مدن الحِلَّة الدينيَّة، والتي تصدق عليها المقولة النظريَّـة المنسجمـة مع الخطط المشكِّلـة للملامح الطبيعيَّة المنبثقة مـن قدسيَّة الشخص الوافد، ومحطَّ ترحاله ودفنه، وتتجمَّع القلوب حوله، لتنتقل إلى مرحلة السكن بجواره، بما مثَّله من أمان روحيّ يستشعره الوافد إليه، وعند اتِّساع دائرة المتوطِّنين بجواره، تظهر المدينة الدينيَّة المستمدَّة وجدانها من صاحب الروح المقدَّسة.

ولاستكمال البحث، قسِّم على محاور عدَّة: تناول المحور الأوَّل (نشأة مدينة القاسم وتشكُّلهـا في ظلِّ المقولة الدينيَّة)، بينما تطرَّق المحـور الثاني إلى دراسة (التطوُّر الإداريّ والتنظيميّ الرسميّ لمدينة القاسم)، وسلَّط المحور الثالث الضوء على (النخبة الدينيَّة في المدينة وأثرها في التطوُّر والجذب السكَّانيّ).

Abstract

The studied paths of the cities determined the self-being of the state, and the research focused on one city rather than another, and small cities and their importance within the framework of urbanization and its standards were not taken into account. Do these cities represent a historical phenomenon in their formation and development, and do they have common characteristics with neighboring cities? Was the city the result of geographical and human data that interfered in the process of creation, or was the religious factor the main element in its creation? It is known that agriculture, for example, represents the dominant mode of production. So, how did it affect the population attraction that searches for food security and its details?

The field of studying small cities is still very difficult. It has provided solid scientific concepts, as the researcher needs accurate historical backgrounds covering the history of the region, whether social, economic, or political, as well as the

development of the urban condition of the city in light of successive times.

Based on the statement of the French sociologist Fostal de Coulanges, who concluded in his study of cities that the religious factor is an essential link between the residents of any city, and that this relationship is very close and overshadows all other statements, and people derive their strength and blessing from the theory of proximity to the holy place. Even the British scientist Arnold J. Toynbee believes that there is no escape from the predominance of the religious element over other factors, and that it is continuous and permanent and is not affected by geography and its fluctuations in the issue of the decline and disappearance of cities, due to the scarcity of water or the change in transportation methods for it.

As we trace the emergence of the religious city in Iraq, we find that the above data is inseparable from many cases of the holy city with an emotional presence, which is what was investigated by the special study in the holy city of Al-Qasim as one of the religious cities of Hilla, and which is confirmed by the theoretical statement that is consistent with the plans that form the features. The naturalness emanating from the

sanctity of the incoming person, his place of travel and burial, and around which hearts gather To move to the stage of living next to it, with the same spiritual security felt by the visitor to it, and when the circle of settlers next to it expands, the religious city appears, deriving its essence from the owner of the holy spirit.

To complete the research, it was divided into several sections: The first axis dealt with (the emergence of the city of Al-Qasim and its formation under the religious doctrine), while the second axis dealt with the study of (the official administrative and organizational development of the city of Al-Qasim), and the third axis shed light on (the religious elite in the city and its impact on development and population attraction).

المقدِّمة

إنَّ تجلِّيات الاستيطان البشريّ لا تجرى، في مجمل وجودها، على نحوٍ متساوٍ أو منتظم، بل بوتيرة متموِّجة أو إيقاعيَّة، صعودًا وهبوطًا، وتظهر بأوضح صورها في تشكيل المدن والحياة فيها، والتي تنمو وتتراجع وفقًا للدورات التاريخيَّة المختلفة، ويبقى تأثير بعضها وفعله يختلطان في رسم الخطوط البيانيَّة التي تنمو عليها المدينة، والتي تتمظهر في محتوى تنظيميّ يُطلق عليه النشأة الذاتيَّة البدائيَّة، وتكون بها خطط المدينة متواضعة وعشوائيَّة، لكن يشتدُّ فيها عنصر الجذب تبعًا لموقعها وإمكاناتها، وإذا ما صادف أنْ اختيرت حسب أهميَّتها لتكون مركزًا إداريًّا، فهنا تتغيَّر الخطط الحضريَّة لها، وتصبح منتظمة الأشكال، ومتناسقة الصور، وتمتزج فيها الطبيعة مع براعة تصميم الإنسان.

والكشفِ عن الحقائق العلميَّة التي غيِّبت لمدَّة طويلة ليس بالأمر السهل واليسير، لاسيما إذا ما تعرَّضت إلى الإهمال واللامبالاة، فمدينة القاسم عليه السلام بما تحتويه من أهميَّة دينيَّة؛ لاحتضانها مرقد الأمام القاسم بن موسى الكاظم عليه السلام، وأهميَّتها الاقتصاديَّة بفعل موقعها الجغرافيّ الواصل بين مدينتَي الحِلَّة والديوانيَّة، وامتلاكها أنهارًا وأراضي خصبة، جعلها مركز جذب للسكن على مرِّ العصور.

يتبادر إلى الذهن، ونحن نجمع شتات المعلومات المتاحة، مسألة غاية في الأهميَّة، وهي تفاعل المستويات الثلاثة: الاجتماع والاقتصاد والسياسة في تطوُّر المدينة، فمؤسِّس

المدينـة الأوَّل مثَّل المعارضة السياسيَّة التـي انطلقت من أراضي العراق، وبالتحديد من مدينة الحِلَّة موطن الولاء العلويّ، تلك المعارضة التي استهدفت تنمية روح الموالاة، ثمَّ التحرُّك للهدف الذي بعده، إن أسعفها الوقت.

المحور الأوَّل

نشأة مدينة القاسم عليه السلام وتشكُّلها في ظلِّ المقولة الدينيَّة

يخضع نظام تشكُّل المدن ضمن المنهج العلميّ الدقيق، إلى جملة شروط ومعايير يجب توفُّرها عند إنشاء المدينة في حدود الزمن والجغرافيَّة، لكن المعايير تبقى مرتبطة في إطار محتوى المدينة، في عمقها وحدودها، وتوفُّر الجامع والشارع والسوق، وطالما أنَّها مدينة تتشكَّل حول قبر أحد الأولياء الصالحين، فلا تنطبق عليها مقوِّمات المدينة في الحدود المتعارف عليها بالنسبة للمدن، إذ يعتري المدينة العشوائيَّة، وكذلك غياب التخطيط، فتكون البيوت متقاربة، والأزقَّة ضيِّقة إلى درجة من الصعب مرور أكثر من شخص فيها، وكلُّ ما يجري فيها ترسمه أيادي ذات طابع قبليّ.

تظهر مدينة القاسم عليه السلام على الخريطة في لواء الحِلَّة وكأنَّها واحة خضراء، وحدودها مع الوحدات الإداريَّة الأخرى متداخلة وغير واضحة المعالم، ويرتبط تاريخ المدينة بكلِّ كينونتها بقدوم الأمام القاسم ابن الأمام موسى الكاظم عليهما السلام، وسكنه ومدفنه فيها، فأخذت تسميتها من اسمه المبارك، ويبدو أنَّ تاريخ المدينة في مراحله التطوُّريَّة شابه الغموض وعدم الدقَّة، وما كُشف من معلومات في المصادر التاريخيَّة لا تُغني عمليَّة البحث والتقصِّي في تاريخ المدينة قبل تشكيلها، وحتَّى زمان التشكُّل يبقى غير دقيق، ولم يحدَّد بمدَّة معيَّنة، والمعطيات البشريَّة وتمركزها في هذه المناطق غير متجانسة، فيمكن أن يكون هذا الوجود ضمن المحتوى السكَّانيّ للدولة البابليَّة، ولاسيَّما إذا كانت هذه

المناطق تعدُّ من الأرضي الخصبة للدولة، وأنَّ المجتمع الفلَّاحيّ للدولة يسكن في أطراف بابل التاريخيَّة، وإن لم نجد إشارات أو نقوش وتفسيرات في الكتابات البابليَّة أو المسماريَّة تدلُّ عليها، لكن يمكن الاستدلال من خلال الإعمام الذي توصَّلنا إليه، أنَّ هذه الأرض تابعة لمدينه بابل، وبالتحديد للأراضي الزراعيَّة التي يعمل فيها البابليُّون[1].

لا يكتمل تاريخ المدينة بمعانيه ومدلولاته، إلَّا إذا أُدرجت اشتقاقاته اللغويَّة وتسميته القديمة، بعد دراستها في إطار البدايات الأولى، وأخذها تسمية النهر الذي يمرُّ فيها، بوصفه مسمًّى لها، كما ذهب ياقوت الحمويّ في كتابة (معجم البلدان)، وتسميته للمنطقة بأرض سورا، النهر البابليّ القديم (المندرس)، الذي يخترق تلك الأراضي، وتنتشر على ضفافه بيوت الفلَّاحين، فذكرها: «إنَّ سورا هو موقع بأرض بابل، وهي مدينة السريانيِّين، وهي قريبة من الوقف والحِلَّة المزيديَّة»[2].

و(سورا) كلمة عبريَّة، تعني الأرض المنخفضة، وقد يكون ثمَّة خلاف بين مَن يرى أنَّها موضع في العراق من أرض بابل، قرب مدينة بابل الأثريَّة، سكنها المزيديُّون قبل تمصير الحِلَّة، أو إنَّ (سورا) مدينة تحت الحِلَّة، وفيها نهر يُنسب إليها، أي إلى الجنوب منها، بالقرب من مرقد الإمام القاسم بن الإمام موسى الكاظم عليهما السلام، مما يُبيِّن لنا أنَّ إقليم مدينة (سورا) يمتدُّ من شرق ذي الكفل إلى شرق مدينة القاسم عليه السلام[3]، وإذا ما أنعمنا النظر إلى الخريطة السكَّانيَّة لتوزيع اليهود في بابل، نرى أنَّ (سورا) تكون في الأساس بين مدينة الإمام القاسم عليه السلام، ومدينة ذي الكفل في تلك المدَّة.

(١) سناء حسُّون الآغا، الطين في بلاد وادي الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كليَّة الآداب، ٢٠٠٤، ص٢٣-٤٨.

(٢) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، المجلد٣، بيروت، ١٩٥٧، ص٢٧٨.

(٣) مركز تراث الحِلَّة، سورا معالم أثريَّة:
http://mk.iq/view.php?id=436&ids=3.

فضلًا عن ذلك، فإنَّ المحدِّد الجغرافيّ للأرض وطبيعتها يكاد يكون فيه اتِّفاق حتَّى مع علماء اللغة، فهذا ابن منظور يعلِّل ويبيِّن أنَّ (سُورا) على وزن بشرا، وهي موضع من أرض بابل، وتمثَّل بأبيات من الشعر:

وفتًى يُديرُ على من طرف له
خمرًا تولِّد في العظام فتورا
ما زلتُ أشربها وأسقي صاحبي
حتَّى رأيت لسانه مكسورا
ممَّا تخيَّرت التجار ببابل
أو ما تعتِّقهُ اليهودُ بـ(سورا)

ويعلِّق مشيرًا إلى أنَّها مدينة تحت الحِلَّة، لها نهر يُنسب إليها، وكورة قريبة من الفرات[١]، وإذا ما تأمَّلنا البيت الشعريّ وحلَّلناه، نتوصَّل إلى أنَّ (سورا) كانت إحدى المدن التي أُسكن فيها اليهود بعد سبيهم من فلسطين في عهد الملك البابليّ نبوخذنصَّر ١١٢٦-١١٠٣ق.م، وعند استقرارهم فيها، اشتغلوا في التجارة والزراعة، وزارهم في القرن السادس الهجريّ الرحَّالة بنيامين التطيليّ، ولاحظ جود أكثر من عشرة آلاف يهوديّ، كان لهم حريَّة الاعتقاد، وامتلكوا أربعة معابد في (سورا)، ومقرًا لرأس الجالوت، ممَّا يعني أنَّ المدينة كانت ذات أثر دينيّ واقتصاديّ، بما تمتَّعت به من مقوِّمات زراعيَّة وتجاريَّة[٢].

(١) صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحقِّ البغداديّ، مراصد الاطِّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمَّد البجاويّ، ج١، بيروت، ١٩٥٤، ص٧٥٣.

(٢) بنيامين ابن يونه، رحلة بنيامين التطيليّ، ترجمة وتعليق عزرا حدَّاد، تقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أبو ظبي، ٢٠٠٢، ص٣١٤.

ويتناسب مقال الزبيديّ في كتابه (تاج العروس) مع مَن سبقه، من أنَّ سُورا كطوبى من أرض بابل، بالقرب من الحِلَّة، «وهو بلد السريان، ومنهم شخصيَّات إبراهيم بن نصر السورانيّ، والحسين بن عليّ السورانيّ، ويميِّزها عن الأساورة العجم قوم من بني تميم، نزلوا البصرة قديمًا، ومنهم أبو عيسى الأسواريّ»[1]، ممَّا يعني أنَّ النصارى سكنوا الحِلَّة قبل الإسلام، وهذا ما ذكره أيضا ياقوت الحمويّ «إنَّ سورا مدينة السريانيِّين، إذ تمتَّع النصارى في مدينة الحِلَّة بالحريَّة الدينيَّة والعيش والعمل»[2]، ويرى فريق آخر أنَّ التسمية تعود إلى عهود قديمة نسبةً إلى ابنة ملك النبط أردوان سورا، إذ كان من العادات السابقة تسمية المناطق والمعالم بأسمائهم، أو أسماء أولادهم، فأُطلِق على المنطقة اسم سورا[3].

ضمَّت المنطقة في بداية تشكُّلها تنوُّعًا عرقيًّا من سريانيِّين ويهود ونصارى، ومن ثمَّ المسلمين، وفيما بعد أصبحت المدينة مغلقة للمذهب الشيعيّ، وإن وجِد المذهب السنِّيّ أو غيره من الديانات الأخرى، كالصابئة مثلًا، فإنَّها بشكل قليل جدًّا، وغير معلنة عن نفسها، وبوجود نهر (سورا) فيها، جعلها مدينة ذات أهميَّة اقتصاديَّة كبيرة، حيث الأسواق والعمارة، وممَّا يظهر من بعض الروايات كثرة الأشجار وبساتين الفواكه فيها، وكانت فاكهة الرمَّان فيها من أجود الأنواع، حتَّى مدحها الإمام الصادق عليه السلام، قال: **«لو أنِّي عندكم؛ لأتيت الفرات كلَّ يومٍ فاغتسلت، وأكلت من رمَّان سورا في كلِّ يومٍ رمَّانة»**، وأشار يزيد بن عبد الملك بقوله: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **«من أكل رمانَّة**

(١) محمَّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ، تاج العروس، تحقيق مصطفى الحجازيّ، راجعه عبد الستَّار أحمد فرَّاج، ج١٢، الكويت، ١٩٧٣، ص ١٠٨.

(٢) صفيِّ الدين عبد الحقِّ عبد المؤمن، المصدر السابق، ص٧٢٣.

(٣) يوسف كاظم الشمَّريّ، حمديَّة صالح الجبوريّ، مدينة سورا قراءة في نشأتها وآثارها الفكريَّة والعمرانيَّة والجغرافيَّة، مجلَّة لارك للفلسفة واللسانيَّات والعلوم الاجتماعيَّة، الجزء ١، العدد٣٢، ٢٠١٨، ص٤٣٧.

أنارت قلبه، ومَن أنار قلبه فإنَّ الشيطان بعيد منه. فقلت: أي رمان؟ فقال: **سورانيكم هذا.** وعن عبد العزيز العبديّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **لو كنت بالعراق لأكلت بنبات السنبل.** وهو نبات طيِّب الرائحة، ويسمَّى سنبل العصافير والريحان الهنديّ، أجوده السوريّ، أي ما جُلِب من سورا»[1].

عمومًا الاستفاضة العلميَّة في حقل الاشتقاق وتتبُّع الاسم مختصرة، وتتَّصف بالنُّدرة، ورجاحة التسميات لا تختصُّ في منطقة محدَّدة، فهي لم تُشِر صراحةً إلى تلك المنطقة التي ستصبح مدينة ببركة القادم الجديد، ومجمل القول إنَّها أراضٍ زراعيَّة سكنها النصارى واليهود على حدٍّ سواء قبل الإسلام[2].

وبعد انتشار الإسلام في العراق، وخلال العهد العبَّاسيّ تحديدًا، عندما كانت سطوة العبَّاسيِّين تنال من آل بيت الرسول، وتلاحقهم وتبطش بمن تظفر به منهم، وصل إلى هذه المدينة أحد أحفاد رسول الله، وهو القاسم ابن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمَّد الباقر بن عليّ السجَّاد بن الحسين الشهيد ابن أمير المومنيين عليّ ابن أبي طالب عليهم السلام، أمُّه أمُّ ولد تكنَّى أمُّ البنين، وهي أمُّ أخيه الرِّضا عليه السلام، وأمُّ أخته فاطمة المعصومة عليها السلام. اختلفت المصادر في كيفيَّة وصوله واستقراره في هذه المنطقة البعيدة عن مقرِّ أسرته في المدينة المنوَّرة، وإقامة أخيه عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام في إيران، فيرى أحمد النراقيّ النجفيّ أنَّ هناك الكثير من العلويِّين الذين دُفِنوا في مناطق قريبة من الكوفة، مثل إبراهيم أحمر العين بن عبد الله، الذي دُفِن في باخمرا، وأنَّ القبر الشريف بقرب قرية في الحِلَّة السيفيَّة، وكذلك السيِّد إسماعيل بن إبراهيم الطباطبائيّ الذي دُفِن بالهاشميَّة، وأمَّا السيِّد عبد الله بن الحسن المثنَّى فدُفن بالهاشميَّة من نواحي العذار، والإمام زيد

(١) حميد محمَّد الكعبي، شريك الإمامة القاسم بن موسى الكاظم عليه السلام، منشورات دار الفرات للثقافة والإعلام، الحِلَّة ٢٠١٦، ص١١١-١١٢.

(٢) صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحقِّ البغداديّ، المصدر السابق، ص٧٥٥.

ابـن عليّ بن الحسين (الثائـر)، دفِن بالقرب من قرية ذي الكفـل، وليس غريبًا أن يُدفن القاسـم بن موسى بن جعفر الصادق في هـذه المنطقة، لاسيما أنَّها كانت قرية نائية بعيدة عن الطرق التجاريَّة المهمَّة التي تمرُّ بها قوافل الدولة آنذاك[1].

ترجِّـح بعض المصـادر أنَّ القاسم عليه السلام استقرَّ بعد هجرة طويلـة في منطقه (سورا)، أو باخمـرا، وهنا يشير إلى أهميَّـة المنطقة من خلال دراسة تاريخ العـراق القديم؛ بسبب وقوعهـا على مقربة مـن بابل الـتي تعدُّ أقدم وأوَّل الحضارات التاريخيَّة، ونُسِبت إليها بعض الشخصيَّات السورانيَّة التي مرَّ ذِكرها[2].

يذكـر الشيـخ محمَّد حرز الديـن في مراقد المعـارف، أن الإمام القاسـم بن موسى الكاظـم عليهما السلام، بعد استشهـاد والده الإمام موسى الكاظم عليه السلام بالسمِّ على يد الرشـيد في ٢٥ رجب عام ١٨٣هـ، توارى عن الأنظار، وجـاء إلى (سورا)، واستقرَّ فيها حتَّى توفِّي ودُفِن في المدينة نفسها، ويوضِّح الشيخ محمَّد حرز الدين أنَّ هناك خلطًا أو اشـتباهًا بين القاسـم بن العبَّاس بن موسى بن جعفر، المدفون بشوشـة إحدى قـرى الكوفة القريبة مـن الكفـل بفرسخ شرقًا، وقد صرَّح بذلك ابن عنبة في عمـدة الطالب، ويقع حاليًّا في مقاطعـة (النجميَّـة)، وتقول الأعراب: إنَّ قـبر ابن الكاظم هو قـبر القاسم ابن الإمام موسـى بن جعفر الـذي يقع في مدينـة (سـورا)[3]، وعندما سأل الشيـخ جلال الدين عبـد الحميد بن فخـار الموسويّ عن المشهد الذي بشوشـة، والمعـروف بالقاسم، قال: لا أعرفـه، ولكن بعد وفـاة السيِّد عبد الحميد، قال الشيـخ رضيّ الدين حسن بن قتادة

(١) حسـين أحمد البراقـيّ النجفي، تاريخ الكوفة، حرَّره وأضاف إليـه محمَّد صادق بحر العـلوم، ط٤، بيروت، ص١٩٨٧.

(٢) محمَّد عليّ عابدين، القاسم ابن الإمام موسى الكاظم، بغداد، ١٩٧٨، ص٤٣-١٤٤.

(٣) محمَّـد حرز الدين، مراقد المعارف، علَّق عليه وحقَّقـه محمَّد حسين حرز الدين، ج٢، النجف، ١٩٧١، ص١٨٢-١٨١.

في نسب الإمام القاسم إنَّ ابن العبَّاس بن موسى بن جعفر الذي بشوشة[١]، وهناك فرق واسع بين شوشة وسورا، ولعلَّ سبب هذا الاشتباه أنَّ الكُتَّاب والمؤرِّخين القدامى كانوا يضعون الحدود والعلائم عن طريق التقريب والحرص؛ لفقدان وسائل النقل والاتِّصالات.

فقد ذكره السيِّد الخوئيّ في معجمه: «ذكره المفيد في الإرشاد، باب ذِكر عدد أولاده عليهم السلام، وطرف من أخبارهم، وقال في ذيل الباب: ولكلِّ واحدٍ من ولد أبي الحسن موسى عليه السلام فضل ومنقبة مشهورة، وقد جعله الإمام موسى بن جعفر عليه السلام متولِّيًا على صدقته بعد وفاة عليّ أو إبراهيم»[٢]. وفي رواية يزيد بن سليط، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: «**أخبرك يا أبا عمارة أنِّي خرجت من منزلي، فأوصيت إلى ابني فلان، وأشركت معه ابني في الظاهر، وأوصيته في الباطن فأفردته وحده، ولو كان الامر إليَّ لجعلته في القاسم ابني؛ لحبِّي إيَّاه ورأفتي عليه، ولكن ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ يجعله حيث يشاء**»[٣]. وينقل السيِّد بحر العلوم عن الكافي قوله: «القاسم بن موسى الكاظم عليه السلام، كان يحبُّه أبوه عليه السلام حبًّا شديدًا، وأدخله في وصاياه، وفي باب الإشارة والنصِّ على الرضا عليه السلام من (الكافي) في حديث أبي عمارة يزيد بن سليط الطويل، قال أبو إبراهيم عليه السلام: «**أخبرك يا أبا عمارة، أنِّي خرجت من منزلي فأوصيت إلى ابني فلان، يعني عليًّا الرِّضا عليه السلام، وأشركت معه بني في الظاهر، وأوصيته في الباطن فأفردته- وحده- ولو كان الأمر إليَّ لجعلته في القاسم ابني**

(١) يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة القسم السياسيّ، النجف، ١٩٦٥، ص٧-٩.

(٢) الكافي، الجزء ٧، باب صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله، الحديث ٨، والفقيه، باب الوقف والصدقة والنحل، الحديث ٦٤٧، ورواها في العيون، الجزء ١، بسند صحيح، باب نسخة وصيَّة موسى بن جعفر عليه السلام، ص٥، الحديث ٢، ورواها الشيخ في التهذيب، الجزء ٩، باب الوقوف والصدقات، الحديث، ص٦١٠.

(٣) السيِّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ، معجم رجال الحديث وتفاصيل طبقة الرواة، الكتاب الخامس عشر، بيروت ١٩٩٥، ص٦٣.

لحبِّي إيَّاه، ورأفتي عليه، ولكن ذلك إلى الله ﷻ يجعله حيث يشاء. ولقد جاءني بخبره رسول الله ﷺ. وقال: وقال لي عليه السلام: **ولو كانت الإمامة بالمحبَّة لكان إسماعيل أحبَّ إلى أبيك منك، ولكن ذلك من الله ﷻ**»[1].

ومن كرامته رؤية الإمام القائم الحجَّة ابن الحسن عليه السلام في مقامه وعلى أطراف مرقده الشريف، «إذ يقول صاحب كتاب الصراط المستقيم عليّ بن محمَّد بن يونس: خرجت مع جماعة نزيد على أربعين رجلًا إلى زيارة القاسم بن موسى الكاظم، فكنَّا عن حضرته نحو ميلٍ من الأرض، فرأينا فارسًا معترضًا، فظنَّناه يريد أخذ ما معنا، فأخفينا ما خفنا عليه، فلمَّا وصلنا رأينا آثار فرسه ولم نره، فنظرنا ما حول القبة فلم نرَ أحدًا، فتعجَّبنا من ذلك مع استواء الأرض، وحضور الشمس، وعدم المانع، فلا يمتنع أن يكون هو الإمام أو أحد الأبدال، فلا ينكر حضور شخص لا يُرى لسرٍّ أودعه الله فيه[2].

تبقى رواية مجيء الإمام القاسم عليه السلام إلى قرية باخمرا تحتاج المزيد من البحث والتقصِّي، فالمعلومات المتوافرة قليلة، بل نادرة جدًّا، وهي تعتمد على روايات شفهيَّة، فليس من المستطاع في عهد الجَور العبَّاسي أن يُظهِر العلويُّون المتخفُّون شخصيَّتهم الحقيقيَّة، وحتَّى القرى والمدن التي تحتضنهم سوف تتعرَّض للقتل والتنكيل، فبنو العبَّاس كانوا ينظرون إلى العلويِّين نظرة المعارض الذي يتحيَّن الفرص للانقضاض عليهم وعلى سلطتهم، والشواهد التاريخيَّة كثيرة في ذلك.

في الخبر أنَّ القاسم عليه السلام لـمَّا علم بشهادة والده الإمام موسى الكاظم عليه السلام في ٢٥ رجب عام ١٨٣هـ، على يد هارون الرشيد، خرج من المدينة المنوَّرة متخفِّيًا يريد العراق،

(١) السيِّد بحر العلوم، الفوائد الرجاليَّة، تحقيق محمَّد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، ١٣٦٣ش، ج٣، ص١٩١.

(٢) عليّ بن يونس العامليّ، الصراط المستقيم، تحقيق محمَّد باقر البهبوديّ، المطبعة الحيدريَّة، ١٣٨٣، ج٢، ص٢٦٣.

وربَّما قدِم إلى مركز الخلافة العبَّاسيَّة؛ لأنَّهم لن يبحثوا عنه في نواحيهم، أو كثرة الموالين لآل البيت عليهم السلام في تلك المناطق، وفيها مدفن جدِّه الأمام عليّ عليه السلام في النجف الأشرف، ما دفعه المسير إلى أن يصل إلى قرية في ظهر الكوفة، ويتوقَّف قرب نهرٍ ليرد الماء، ويسمع فتاتَين تتجادلان وتذكران صاحب بيعة الغدير الإمام عليًّا عليه السلام، فينصت إلى حديثهما، ويطلب منهما إيصاله إلى زعيم الحيِّ، وبعد ضيافة لمدَّة ثلاثة أيام طلب من زعيم القرية عملًا بان يكون ساقيًا يسقي أهالي القرية بالماء، ولـمَّا رأى زعيم القرية صلاحه وحسن عبادته زوَّجه ابنته، لكنَّ الإمام أخفى نسبه وحسبه عن الناس، وحتَّى عن زوجته ووالدها، وأصبح يُعرَف بالغريب، وعندما حضرته الوفاة تكلَّم مع الشيخ عن حسبه ونسبه، فهو ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وطلب منه أن يرسل ابنته إلى أهله في المدينة المنوَّرة، فهي تكون دليلهم في الوصول إلى بيتهم في المدينة، فهي معلمه من عند الله، توفِّي القاسم عليه السلام في عام ١٩٢هـ قبل أخيه الامام الرضا عليه السلام بسنتَين، وقد تجاوز عمره الأربعين سنة، وله عدَّة زيارات خاصَّة منها في ذكرى وفاته، وهي على روايَتَين، الأولى في الأوَّل من ذي الحجَّة، والثانية ٢٢ جمادى الآخرة[١].

غدت المدينة بعد أن احتوت على قبر الإمام تُعرَف بمدينة القاسم؛ تبرُّكًا وتشرُّفًا به، وقد مرَّت المدينة بمراحل عديدة لعمارة مرقد القاسم عليه السلام، ليظهر بهذه الحِلية، الذي تتوافد عليه آلاف الناس من أجل التبرُّك والكرامات التي اشتُهِر بها الإمام عليه السلام، وأهمُّ العمارات التي شهدها القبر الشريف تعود إلى الشيخ باخمرا، وإن كانت هذه الرواية ضعيفة، وغير مدوَّنة حتَّى يستدلُّ عليها الباحث، لكن يمكن الاستدلال على مصداقيَّتها بصورة كبيرة؛ لأنَّه عرف من يكون القاسم عليه السلام، وبالأخص أنَّه ابن الإمام

(١) الشيخ محمَّد مهدي الحائريّ، شجرة طوبى، انتشارات المكتبة الحيدريَّة، قم، ١٣٧٨، ص١٦٦-١٦٨، حسنين القاسميّ، القاسم ابن الإمام موسى الكاظم عليهما السلام، باب الله ومقصد الملايين. https://annabaa.org/nbanews/2014/06/011.

الكاظم عليه السلام، فضلًا عن ذلك، كان لديه سطوة وجاه اجتماعيّ قبل إن تكون إمكانيَّاته الاقتصاديَّة أفضل من الموجودين في المنطقة آنذاك، فيرجَّح أن تكون العمارة الأولى له في أواخر القرن الثاني للهجرة(١).

إمَّا العمارة الثانية للمقام الشريف فتعود للقرنَين الرابع والخامس من الهجرة (٣٣٤-٤٤٧هـ)، الموافق (٩٤٥-١٠٥٨م) في عصر البويهيِّين، ولا تتوافر مصادر مفصَّلة عن الإجراءات التي حدثت بهذا العصر(٢).

في حين كانت العمارة الثالثة تعود إلى القرن السابع الهجريّ، حسب ما يذكره ابن عنبة «إنَّ مشهد القاسم كان معروفًا، وقد سكنته بعض القبائل العلويَّة»، وهو يدلُّ على وجود مقام للقاسم عليه السلام، وبهذه الرواية يضعف الرأي القائل إنَّ أوَّل عماره واضحة للعيان هي في عهد الصفويِّين عندما سيطروا على العراق، وفيما يتعلَّق بعمارة الصفويِّين التي ذُكِرت في مراقد المعارف، فتعود إلى القرن التاسع الهجري، إلى زمن الشاه إسماعيل الأوَّل (١٥٠١-١٥٢٤) الذي زار العتبات المقدَّسة، وبدأ بترميمها، وكان مرقد القاسم من ضمن العتبات التي أُجريت عليها عمليَّات الترميم، إذ ينقل صاحب مراقد المعارف أنَّ القبر في هذه المدَّة يعلوه صندوق من خشب في بستان من النخيل والأعناب، وقد عُدَّت أوَّل قبَّة شيِّدت على القبر الشريف، وانفرد صاحب مراقد المعارف في نقل هذه المعلومة(٣).

والعمارة الخامسة يرجع تاريخها أوائل القرن الثالث عشر للهجريّ عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٤م، اضطلع بها آل سعد إحدى العشائر القاطنة في كربلاء المقدَّسة، إذ شيَّدوا على

(١) محمَّد حرز الدين، المصدر السابق، ص١٦٣.

(٢) عليّ فريش المطراويّ، حياة الإمام القاسم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، بيروت، ٢٠١٦، ص١٧٠.

(٣) محمَّد حرز الدين، المصدر السابق، ص١٦٣.

المرقد الشريف قبَّة بيضاء، وهي ثاني قبَّة شيِّدت على القبر الشريف، ويذكرها جواد شبَّر في كتابه الضرائح والمزارات، ونستدلُّ على ذلك من خلال ديوان العالم السيِّد صادق الفحَّام[١].

جزاكم الله آل سعد
خيرًا وأوفى لكم جزاه
جدَّدتم مشهد ابن موسى
لنا وأحكمتمو بناه

بينما تعتبر العمارة السادسة من أهمِّ العمارات؛ لأنَّها شملت تشييد حرم مرَّبع الشكل، وأواوين متَّصلة تحيط بالحرم، وتكبير القبَّة، وتعدُّ ثالث قبَّة شيِّدت على الحرم الشريف في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧٣م، وأُنشأ صحن لأوَّل مرَّة حول الحرم الشريف، ويحتوي على حوضَين في الجهة الشرقيَّة مع بئر كبير، وشيِّدت هذه العمارة على نفقة السيِّد آغا عليّ الشاه الحسينيّ، ويمكن الاستدلال على أنَّ الآغا هو من قام بتشييد الحرم من خلال رخامة مرمر صفراء كانت بجنب المدخل إلى الحرم الشريف، منقوش عليها «قد بنا هذا المشهد الشريف والضريح المبارك، قربة إلى الله وطلبًا لمرضاته، السيِّد المحترم قاسم بن مولانا الإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام، السيِّد الجليل والسعيد النبيل العلويّ الفاطميّ آقا عليّ شاه الحسينيّ ابن السيِّدَين المحتشمَين السيِّد حسن الحسنيّ المدعو بآقا خان، والمخدَّرة الجليلة بي بي سر كاه، وكان ذلك في شهر ذي القعدة الحرام من شهور عام ١٢٨٨هـ»[٢].

(١) عبد الجبَّار الساعديّ، العلويّ الغريب القاسم ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، ط٣، بيروت، ٢٠٠١، ص١٠٢.
(٢) نقلاً عن محمَّد حرز الدين، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٤.

ويعـود تاريخ العمارة السابعـة إلى النصف الأوَّل من القـرن الرابع عشر للهجريّ عـام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٤م، برعاية السيِّد محمَّـد القزوينيّ نجل حجَّة الإسلام السيِّد معد القزوينـيّ، وعـلى نفقة الشيخ خزعـل الكعبيّ أمير إمارة كعـب في المحمَّرة، وتضمَّنت إنشاء شـبَّاك جديد حول القبر المقـدَّس مكسو بالفضَّة، ويتكوَّن مـن عشر قطع، ثلاثة منهـا في كلِّ جانب من الطـول، وقطعتان في جانب العرض، وهـو مصنوع من البرنج (الورشـو)، مكسو بالفضَّة المنقوش عليها أبيات من الشعـر العربيّ والفارسيّ، وأسماء الجلالـة والأئمَّـة الأطهار، وأرِّخ عمل هذا الشبَّاك ببيت شـعريّ من قِبَل أحد شـعراء الحِلَّة، وهو عبد المجيد العطَّار[١]:

للإمام القاسم الطهر الـذي قـدِّس روحا

خزعل خير أمـير أرِّخـو (شـاد ضريحـا)[٢]

ولهذه العمارة حادثة لطيفة، وهي أنَّ السلطات الحاكمة آنذاك فرضت على العشائر الساكنـة في مدينة القاسم المقدَّسة، مبلغًـا من المال؛ لغرض تسديد الغرامات الملقاة على عاتقهـم من قبـل السلطة، ولـمَّا عدلت السلطة عن أخذها منهـم، أجمع رؤساء العشائر عـلى بناء صحن كبير لمرقد القاسـم عليه السلام، وذلك بموافقة أرباب الأموال، وبالتالي تمَّ بناء الصحـن[٣]، وفي عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م كُسيت القبَّـة بالكاشي الأزرق، بسعي الحجَّة

(١) ولـد عبـد المجيد العطَّار في بغداد عـام ١٨٦٥، وجاء مهاجرًا، وهو صغـير، مع والده وجدِّه، ونشـأ وترعرع في الحِلَّة، وعمل في أسواقها، وكان يمتهـن حرفة بيع العطور والعقاقير وغيرها، حتَّى أُطلق عليه لقب العطَّار، وكان يجالس العلماء والشعراء والأدباء، حتَّى أصبحت له دواوين في الشعـر، وممَّـا فسح المجال له أنَّ الحِلَّة كانت في تلك الحقبـة مسرحًا للشعر والشعراء، وأُطلق عليـه لقب (ناسخ التواريخ) لذكائه وفطنته. للمزيد ينظر: كريم مطر الزبيديّ وآخر، صفحات من تاريخ الحِلَّة، الأردن، ٢٠١٩، ص٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صحيفة الزمان، القاسم ابن الإمام موسى الكاظم عليهما السلام، ص١.

الشيخ قاسم آل محي الدين النجفيّ[١].

تضمَّنت العمارة التاسعة التي يعود تاريخها إلى أواخر القرن الرابع عشر الهجريّ عام ١٣٨٤هـ، والموافق ١٩٦٤م، إنشاء وتشييد مئذنة بارتفاع (٢٦م)، ومحيطها (٥م)، في قمَّتها رمَّانة ذهبيَّة، تتكوَّن من ثلاثة كؤوس مصنوعة من الصِّفر، وزنها (١٨ حقَّة)، ومطليَّة بالذهب مقداره (٢٤) مثقال، وتعتبر المئذنة الأولى التي شيِّدت في المزار الشريف الموجود حاليًّا، وقد غُلِّف جدارها بشكلٍ دائريٍّ من الأسفل حتَّى أعلى المنارة بالكاشي الكربلائيّ الأزرق، قام بإنشائها أهالي مدينة القاسم المقدَّسة، والرمَّانة الذهبيَّة الموجودة في المنارة قد تبرَّع بها أهالي مدينة كربلاء المقدَّسة، وقد طرأت عليها ترميمات. وفي أواخر القرن الرابع عشر الهجري عام١٣٨٦هـ، الموافق ١٩٦٦م، تمَّت العمارة العاشرة، وتضمَّنت إنشاء مئذنة ثانية للمرقد الشريف. أمَّا العمارة الحادية عشر، فيعود تاريخها إلى أواخر القرن الرابع عشر الهجريّ أيضا، في عهد مرجعيَّة الإمام السيِّد محسن الحكيم،

(١) هو قاسم بن حسن بن موسى بن شريف بن محمَّد بن يوسف بن محمَّد بن جعفر بن عليّ بن حسين بن محي الدين. ولِد في النجف ٢٥ رمضان ١٣١٦هـ/ ٥ شباط ١٨٩٩م، ونشأ بها يتيمًا، فكفله جدُّه جواد محي الدين، وبعده خاله الشيخ أمان. سافر إلى سوريا ولبنان عام ١٣٥٣هـ، والتقى بأعلام آل محي الدين، كما التقى بمشاهير العلماء والأدباء، ودارت له معهم مساجلات علميَّة وأدبيَّة ومناظرات فكاهيَّة ونكات مستملحة، وكما وقعت له مع علماء الثالوث مناظرات. قرأ المقدِّمات على أساتذة معروفين، منهم رضا الهنديّ، وأخذ منه علم العروض، محمَّد حسين الأصفهانيّ، وأخذ منه الأصول والفقه، آقا ضياء الدين العراقيّ، أخذ منه الفقه، وأبو الحسن الأصفهانيّ، ومحمَّد حسين الغرويّ النائينيّ وفتَّاح الشهيديّ. كان يعقد في بيته مجلسًا علميًّا وندوة أدبيَّة، كما جمع مكتبة نفيسة اضطر إلى بيعها حين أصابه المرض، فسافر إلى أوروبا طلبًا للعلاج. توفِّي عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م في مسقط رأسه. للمزيد ينظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة، الجزء الثامن، بيروت، لبنان، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٣، ص٤٣٥، رسول كاظم عبد السادة، موسوعة أدباء إعمار العتبات المقدَّسة، الجزء الثاني، مجمع الذخائر الإسلاميَّة، مركز النجف الأشرف، ٢٠١٦، ص٤٠٤-٤٠٥.

بسعي وإشراف سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيِّد الشهيد محمَّد تقي الجلاليّ رحمه الله، إذ استطاع أن يجمع من أهالي القاسم ما يعادل (١٢٠٠) دينار، وبضمن المبلغ قطع من الذهب والفضَّة، وقد استطاع أن يجمع ذلك المبلغ في يوم حافل مشهود اجتمع فيه الناس على اختلاف طبقاتهم في الصحن الشريف، وكان ذلك اليوم هو ١٥ شوال عام ١٣٨٥هـ، الموافق عام ١٩٦٥م، فقد أعلن السيِّد الجلاليّ للناس عامَّة عن عزمه مقابلة السيِّد الإمام محسن الحكيم وتسليمه المبلغ، فسار إليه في موكب حافل، وسلَّمه المبلغ، ووعده السيِّد الحكيم بإنجاز المشروع الذي هو إنشاء وتشييد شبَّاك من الذهب يتوِّج به القبر الشريف، وفي عام ١٩٦٨م، تمَّ صنع الشبَّاك حسب أمر السيِّد محسن الحكيم، وقد ثبِّت تاريخ الصنع على الشبَّاك في الجانب الشماليّ ممَّا يلي قبضة الباب في عام ١٣٩٨هـ، الموافق ١٩٧٨م[١].

من خلال استعراض آراء المؤرِّخين وكتابات الرحَّالة الذين زاروا بابل، نجد هناك اتِّفاق بين أغلبهم بأنَّ أصل سورا هو أرض تابعه لبابل، تقع في جنوبها، وتشتهر بالبساتين وزراعة الفواكه، أمَّا سكانها فقد اختلفوا ما بين اليهود الذين نزلوا فيها في العصر البابليّ وما بعده، وبين المسيح الذين استوطنوها خلال المدَّة التي سبقت انتشار الإسلام في العراق، ولا يخفى على القارئ أنَّ هذه القرية كانت تتمتَّع بمميِّزات اقتصاديَّة، إلَّا أنَّها شهدت أهميَّة أكبر عندما احتوت قبر القاسم بن موسى الكاظم عليهما السلام، إذ تحوَّلت إلى مدينة ذات أهميَّة دينيَّة، واستقطبت الناس للسكن فيها تبرُّكا بمجاورة القاسم عليه السلام.

(١) صحيفة الزمان.

المحور الثاني

التطوُّر الإداريّ والتنظيميّ الرسميّ لمدينة القاسم عليه السلام

تتمتَّع مدينة القاسم بموقع جغرافيّ إستراتيجيّ، إذ تتوسَّط مدينتَي الديوانيَّة والحِلَّة، ويمرُّ عليها الطريق العام القديم، فضلًا عن قربها من مدينة بابل القديمة التي تضمُّ عددًا من المواقع الأثريَّة العالميَّة، منها عجائب الدنيا السبع، وغيرها من المعالم التاريخيَّة الأخرى، كما أنَّها تبعد فراسخ قليلة عن الكوفة ذات التاريخ العريق، ومن خلال ذلك اكتسبت مدينة القاسم أهميَّتها أضافةً إلى احتضانها مرقد القاسم عليه السلام، الذي زادها شهرة وأهميَّة، فأصبحت منطقة جذب سكَّانيّ لتوفُّر الحِرَف والصناعات، وأخذت المدينة تخضع إلى التطوُّر والإعمار بشكل ملحوظ حتَّى أصبحت أكبر ناحية في العراق[١].

بدأت مدينة القاسم تسجِّل وجودها في التاريخ الحديث، نظير دورها البارز في ثورة العشرين، التي تعدُّ انطلاقة مهمَّة في تاريخ العراق، إذ كان لسكَّان المدينة مواقف مشهودة لهم في الأحداث التي مرَّ بها العراق في تلك المدَّة، فمثلًا رفض السكَّان الامتثال إلى أوامر السخرة التي كانت تفرض عليهم، وكذلك عدم استجابتهم لدفع الضرائب، ومهاجمة الوحدات العسكريَّة البريطانيَّة، فقاموا بتخريب سكك الحديد في منطقة (قوجان)[٢]، وقطع الإمدادات عن الجيش البريطانيّ المرابط في الحِلَّة، فقام قائد الجيش

(١) محمَّد جواد عبد الجاسم، القاسم مدينتي، بيروت، ٢٠١١، ص٢١.

(٢) قوجان جاء اسمها نسبة إلى الشيخ قوجان آل عزيز، وهو شيخ عشيرة آل فريج=

المنسحب من الديوانيَّة على القطار المتَّجه إلى الحِلَّة (كونتكهام) بإصلاح السكَّة بصعوبة بالغـة؛ إلَّا أنَّ العشائر والقبائل المتحالفة زادت من هجماتها على الجيش، وفي ٢٠ نيسان ١٩٢٠م، عقـد زعماء القبائل اجتماعًـا في ضريح القاسم عليه السلام[١]، اتَّفقـوا فيه على توحيد الجهـود للتصدِّي للجيـش البريطانيّ، فتواجهـت عشائر القاسم معهـم بمعركة كبيرة بالقرب من بيرمانة (الحصين- الدَّبلة)[٢].

مثَّلت العشائر قوَّة بشريَّة كبيرة في حدود مدينة القاسم عليه السلام، وهي متَّحدة في مواثيق بينيَّة جعل البعض منها تحصل على رصيد سياسيّ في الاتِّجاه إلى سلطة الدولة والحصول عـلى مكانة فيها، إذ بعـد تأسيس الحكم الملكيّ عام ١٩٢١، وتـولِّي الملك فيصل الأوَّل العـرش في العراق، وحرصه على إرضاء زعماء القبائل والعشائر، حاول إدخالهم ضمن مجلـس النوَّاب المنتخب عـام ١٩٢٤، فحصلت المدينة على ممثِّل لهـا، هو النائب علوان العبُّـود[٣]، ثمَّ النائب الشيخ مخيف آل كتاب الـذي انتُخِب لستِّ دورات ممثِّلًا عن لواء الحِلَّة في مجلس نوَّاب العهد الملكيّ[٤].

تبعـت مدينـة القاسم عليه السلام إداريًّـا في بداية العهـد الملكيّ إلى ناحيـة الجربوعيَّة التي

=من عشائر الجبور.

(١) أهـم زعماء ثورة العشريـن الذين جاءوا من النجف الأشرف السيِّد علـوان الياسريّ، والسيِّد هـادي المكطوريّ، عقدوا اجتماعًا في بيت الحاج شـخيِّر الهيمص مع عـدد من الحاضرين حول موعد انطلاق الثورة، ثمَّ اتَّجهوا من القاسم إلى مدينة الشوملي لتحديد ساعة انطلاق الثورة.

(٢) عبد العظيم عبَّاس، ومضات من تاريخ مدينة القاسم، بغداد، ٢٠٠٠، ص١٧.

(٣) علـوان العبُّـود: ولد عـام ١٨٧١، وتوفِّيَ عـام ١٩٧٨، انتُخب عضوًا في مجلـس نوَّاب العهد الملكـيّ في دورته السادسة ممثِّلًا عن لـواء الحِلَّة، والتي بدأت من ٨ آب ١٩٣٥ لغاية ٢٩ تشرين الأوَّل ١٩٣٦م.

(٤) عبـد العظيـم عبَّاس الجوذريّ، القول الحاسـم في تاريخ مدينة القاسـم، ط٣، بغداد، ٢٠١٣، ص١١٥.

تأسَّست في عام ١٩٢١، وكان مديرها عزيز جاكوجه البغداديّ، وامتازت الناحية بأرض زراعيَّة خصبة، ووفرة المياه، ممَّا جعلها من المناطق التي تكثر فيها أنواع المحاصيل الزراعيَّة، وبالتالي فُرِضت على المنطقة وسكَّانها ضرائب كبيرة، وفي وقتها كان سعد صالح مديرها، فاختلف مع متصرِّف لواء الحِلَّة محمود نديم الطبقجليّ[1] على طريقة احتساب الضرائب المرتفعة على سكَّان الناحية، وبسبب معارضته هذه عُدَّ متمرِّدًا وغير منصت إلى تنفيذ الأوامر، فنُقِل على إثرها إلى ناحية عكيكة في لواء

(١) ولد محمود نديم الطبقجليّ في مدينة الموصل عام ١٨٩٥م، ثمَّ قدِم بغداد، ودرس في دار المعلِّمين عام ١٩١٦م، ثمَّ شغل وظائف متعدِّدة بعد أن خدم في الجيش العثمانيّ بصفة ضابط احتياط، وبتاريخ ١/ ٢/ ١٩١٨م، استجاب لدعوة التوظيف التي أطلقها الاحتلال البريطانيّ، فعيِّن بوظيفة مشاور مالي، ثمَّ عيِّن قائممقام لقضاء مندلي في ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٠م، وأصبح أوَّل قائممقام لمندلي بعد تأسيس الدولة العراقيَّة، وفك ارتباط مندلي عن متصرفيَّة لواء بغداد وربطها بمتصرفيَّة لواء ديالى وذلك عام ١٩٢١م، وساهم في تأسيس المدرسة الخزرجيَّة الابتدائيَّة ببغداد بعد تأسيس الحكم الوطنيّ في العراق، وأصبح مديرًا لها، ثمَّ عمل كاتبًا في مجلس النوَّاب العراقيّ عام ١٩٢٤، وله مقالات صحفيَّة في الإصلاح الاجتماعيّ، له مكتبة خاصَّة تضمُّ أمَّهات الكتب أُهديت إلى المجمع العلميّ العراقيّ، عيِّن وكيلًا لمتصرِّف الحِلَّة، وكان حينها عليّ جودت الأيُّوبي، وعندما نُقِل الأيُّوبيّ إلى الحِلَّة عيَّن مكانه الطبقجليّ ليُصبح متصرِّفًا للواء الحِلَّة من عام ١٩٢٤ حتَّى ٢٨ تموز ١٩٢٦م، وكان إبراهيم صالح شكر مديرًا لتحريرات لواء الحِلَّة. إنَّ محمود نديم إسماعيل الطبقجليّ يعتبر من روَّاد الحركة الكشفيَّة في العراق خلال عشرينيَّات القرن العشرين، والمؤسِّس والمشرف على مجلَّة الكشَّاف العراقيّ التي كانت تهتمُّ بحركات الكشَّاف، والعمل على نهضتها، واهتماماتها انحصرت بتعليمات ونشاطات الكشَّافة في العراق والعالم، حتَّى توقَّفت عن الصدور عام ١٩٢٦م، وأصدر في عام ١٩٢٦م مجلَّة المدرسة التي اهتمَّت بشؤون التلاميذ مِن كِلَا الجنسَين حتَّى توقَّفت، وكان قد عيِّن محمود نديم الطبقجليّ متصرِّفًا للواء ديالى، ونقلت صحيفة المدى البغداديَّة عن كتاب عبَّاس بغداديّ (بغداد في العشرينات): أنَّه بعد أن أُحيل محمود نديم الطبقجليّ متصرِّف لواء ديالى على التقاعد، أسَّس مضمارًا لسباق الخيل في أراضي حمدي الباجه جي، قرب منطقة بغداد الجديدة، توفِّي عام ١٩٥٥. للمزيد ينظر: محمَّد سعيد الراوي البغداديّ، تاريخ الأسر العلميَّة في بغداد، تدقيق وتحقيق عماد عبد السلام رووف، بغداد ١٩٩٧، ص١٤٥.

الناصريَّة[1].

بني مخفر الشرطة عام ١٩٢٣م من الطين في حي الرحمانيَّة إحدى الأحياء القديمة القريبة من مرقد الإمام عليه السلام، وكان مأمور المخفر مسؤول عن المنطقة من الناحية الأمنيَّة والإداريَّة، ويقع المبنى ضمن السراي الحكوميّ الذي كان أغلبه مبني من الطين، ونظرًا لتوسُّع مدينة القاسم عليه السلام، وكثرة سكَّانها صدرت الإرادة الملكيَّة بإلغاء الجربوعيَّة، وتأسَّست ناحية القاسم عام ١٩٢٧[2].

يذكر تقرير مفتِّش وزارة الداخلية عام١٩٣٥ حالة الناحية، إذ تسكن في الناحية وجوارها قبائل الجبور، ولا يوجد تنازع بينها، لكن هناك من يساعد المتمرِّدين ضدَّ الحكومة، والتقرير السابق الذي رُفِع لم يذكر كلَّ عشائر الجبور في الناحية، لا يوجد مدير بلديَّة في الناحية، بل مدير الناحية هو الذي يدير الأمور فيها، وهناك كاتب له، وهو نفسه كاتب مدير الناحية، ويوجد في المدينة مجزرة إلى جوار الطاحونة، وصاحب الطاحونة يلقي المياه في النهر، ما يؤدِّي إلى تجمُّع الفضلات والمياه والوسخة، ويبيِّن التقرير الحالة الصحيَّة في الناحية، «زرت المستوصف فوجدت غرفة واحدة في السراي، هي للتضميد والمعاينة والصيدليَّة والمذخر، علاوة على ضيق المحلِّ، وعدم كفايته، ويرصد التقرير أيضًا حالة النساء ومراجعاتهنَّ الصعبة للمستوصف، وأكثر النساء المريضات من أهالي القرية تتحاشي الوصول إليه، كونه في داخل السراي»[3].

(١) عبد العظيم عبَّاس الجوذري، القول الحاسم، ص٦٩.

(٢) عبد العظيم عبَّاس الجوذري، القول الحاسم، ص٧٣.

(٣) مفتِّش الإدارة العامَّة، مذكرة رقم ١٤٦٤/ ١٤/ ٧/ ١٩٣٥، تفتيش ناحية القاسم، ملفَّات البلاط الملكيّ، ص١-٧.

المؤسَّسات الإداريَّة في مدينة القاسم عليه السلام

بلديَّة الناحية:

تأسَّست بلديَّة الناحية في عام الاستحداث نفسه ١٩٢٧، ومهامّها تنحصر في تطوير الأحياء وضواحي المدينة، وشقّ الطرق وتشجيرها، وتهتم بوضع اللوحات الإرشاديَّة، وإنارة الطرق، وتنفيذ مخطَّطات خاصَّة بجماليَّة المدينة، وتحدِّد موقع الأسواق في المدينة وتراقب نظافتها، وتقوم بتصريف مياه الإمطار، وتخصِّص لها الدولة ميزانيَّة، وبقيت مديريَّة البلدية في المدينة تُدار من قِبَل مدير الناحية حتَّى عام ١٩٧٢، إذ أصبح لها مدير مستقل، وتعاقب على إدارتها عدد من الشخصيَّات من أهالي مدينة القاسم، منهم السيِّد عبَّاس محمَّد عذار الجبوريّ، السيِّد عيَّال موسى الجزائري، والسيِّد سلمان عودة بريو.. وغيرهم آخرون، ثمَّ توسَّعت فيما بعد بسبب تزايد عدد السكَّان، ونمو المدينة وتطوُّرها، حتَّى أنَّها أصبحت من أكبر النواحي العراقيَّة من حيث المساحة وعدد السكَّان، وتمَّ إضافة دوائر وأقسام أخرى إليها، مثل شعبة المشاريع، وشعبة البلديَّة، وشعبة تنظيم المدن، وشعبة الملاك، وشعبة البيئة، وشعبة التخطيط والمتابعة[1].

دائرة الاستهلاك:

استُحدثت هذه الدائرة من أجل استيفاء رسوم استهلاك الخضروات والتمور والمزروعات على اختلاف أنواعها، وكذلك الرز والحنطة والشعير والأبقار والأغنام والإبل والماعز، وحدِّدت الجباية بنسبة ١٠٪ من الأسعار الرسميَّة التي تقرِّرها المجالس البلديَّة، وفي هذا القسم الذي يُعرَف حاليًّا بالماليَّة، إذ غُيِّر في الثلاثينيَّات من القرن الماضي، وسُمِّي قسم الاستهلاك بمأموريَّة الماليَّة، والموظف الذي يديرها يسمَّى مأمور

(١) عبد العظيم عبَّاس الجوذريّ، القول الحاسم، ص١١٦.

المال، وتعـدُّ هذه الدائرة بمثابة المـصرف الذي يقوم بتوزيع الرواتـب على المتقاعدين، وتـصرف الصكـوك وغيرها، وتعاقب عـلى إدارة مأموريَّة ماليَّة القاسـم كلٌّ من السيِّد ناجـي عبد الجليـل، السيِّد عبَّـاس إبراهيم، السيِّـد حميد تركي عبـد الحسين، وغيرهم آخرون، وتضمُّ الدائرة عدد من الموظَّفين[1].

التربية والتعليم:

لا يخفـى على المتابـع لتاريخ مدينة القاسم نشوء حركة علميَّـة فيها في وقت مبكِّر، ويعـود هذا النشـاط إلى عوامل عدَّة، لعلَّ أهمَّهـا أنَّ مدينة القاسم تابعـة إلى الحِلَّة التي أصبحـت ردحًا من الزمن حاضرة للعلـم والعلماء، يتوافدون إليهـا من داخل العراق وخارجه؛ ليستسقوا من علمائها، فضلًا عن قربها من الكوفة عاصمة الدولة الإسلاميَّة، ساعدت تلك الأسباب جميعها على نشر التعليم والاهتمام به، على الرغم من أنَّ البعض يصفهـا قرية، لكنَّهـا أثبتت غير ذلك من خلال النُّخب المثقَّفـة التي أخرجتها المدينة في وقـت مبكِّر، ولعلَّ أوَّل مدرسة أُنشأت في مدينـة القاسم هي مدرسة القاسم الابتدائيَّة في عـام ١٩٣٠م، وكـان أوَّل مدير لها هو السيِّـد محمَّد عليّ الفلُّوجـيّ، وجاء المعلِّمون ليعملـوا فيها من عدَّة محافظات، بابل، والموصل، فضلًا عن المعلِّمين من أهالي القاسم، منهم الأستاذ جاسم عبد الشهيد، الأستاذ جليل ظاهر حبيب، والأستاذ طعمة كاظم عبيِّـس المربِّي الفاضـل، ثمَّ افتُتحـت متوسِّطة القاسم في عـام ١٩٥٥، وكان دوامها مزدوج مع بناية مدرسة القاسم الابتدائيَّة نفسها، وبعدها بثلاث سنوات أُنشأت ثانويَّة القاسم عام ١٩٥٨[2].

(١) عبد العظيم عباس الجوذريّ، المصدر السابق، ص١٢٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩١.

المحور الثالث

الوكالات الدينية في مدينة القاسم

اعتنت المرجعيَّات الدينيَّة بتنمية الحالة العلميَّة لمناطق ومدن العراق، إذ تقوم بإرسال رجال دين متمكِّنين يتَّصفون بالذكاء والمقدرة والوجاهة، حتَّى يكونوا على اتِّصال مباشر مع الناس، هدفهم حلُّ المسائل الشرعيَّة التي يتعرَّض لها الناس، وزيادة التواصل الاجتماعيّ للمدن العراقيَّة، فحرصت المرجعيَّة الدينيَّة على تعيين وكلاء لها في كلِّ منطقة يوجد فيها أتباع لها، حتَّى يرجع عامَّة الناس الذين لا معرفة لهم بالإحكام الشرعيَّة في إعمالهم من عبادات ومعاملات وغيرها للمجتهد المأمون على الحكم الشرعيّ، الذي لا يفرِّط فيه تسامحًا في البحث والفحص أو مجاملة الناس(١).

بعثت المرجعيَّة الدينيَّة عدد من الوكلاء إلى مدينة القاسم؛ لاتِّصافها بالمنحى القدسيّ، إذ يوجد فيها مرقد القاسم عليه السلام، إلَّا أنَّه لم يظهر تأثير رجل الدين بشكل جليّ وواضح في مدينة القاسم، وربَّما ذلك عائد لقربها من مناطق الحوزة العلميَّة والفقه في مدينتي النجف وكربلاء، كما أنَّ النظام العشائريّ السائد آنذاك لم يعطِ أيضًا أهميَّة لرجل الدين، إذ إنَّ معظم القضايا يُناط حلُّها برجل العشيرة، وبالتالي فمن كان لديه مسألة شرعيَّة أجَّلها إلى يوم زيارته إلى إحدى المدن المقدَّسة، ليستفتي عالمًا هناك، وهذه العوامل جميعها أدَّت إلى انعدام دور رجل الدين، ولم يُذكر منهم سوى القارئ

(١) عبد العظيم عبَّاس الجوذريّ، الحوزة العلميَّة والمدرسة الدينيَّة في مدينه القاسم، دار الفرات للثقافة والإعلام، بابل، ٢٠١٧، ص٣٨.

الحسينيّ[1]، وتعتبر عشرينيَّات القرن الماضي هي البدايات الأولى لنشوء الحوزة العلميَّة في مدينـه القاسم، وذلك عندما بعثت المرجعيَّـة الدينيَّة في النجف الإشرف وكيلًا عنها إلى مدينة القاسم[2].

الشيخ شريف القرشيّ:

بعثـت المرجعيَّـة الدينيَّـة في النجـف الأشرف الشيـخ شريـف الشيـخ مهـدي القـرشيّ[3]، وكيـلاً عنها في مدينة القاسم للمرجع الدينـيّ في النجف الشيخ عليّ كاظم الطباطبائـيّ اليـزديّ[4]، وكان تقيًّا محتاطًا مـن أهل العلم والفضـل، وكان على جانب كبـير من الإيمان ودماثة الخلق وكـرم النفس، وصل وكيلًا إلى القاسم عام ١٩٢٠، وقد أحبَّتـه عشائر المدينـة وأخلصت لـه، إلَّا أنَّ الشيخ شريف القـرشيّ لم يستقر في المدينة، إذ كـان حضوره عابرًا وإقامتـه متقطِّعة، ودوره الدينيّ في المدينـة قليل جدًّا، لا يتعدَّى التوضيـح في المسائـل الدينيَّة اليسيرة؛ لأنَّه كـان دائم السفر إلى النجـف، حتَّى أنَّ داره هنـاك كان مقرًّا لعشائـر القاسم، وكان سخيًّـا في تكريمهم وضيافتهـم، إلَّا أنَّ أهم ما قـام به خـلال تواجده في المدينـة، هو رفع وتعديـل الشارع في مقدِّمـة صحن القاسم، إذ كـان منخفضًـا عـن مستـوى الشـارع العـام حِلَّـة- ديوانيَّـة، بتكليف مـن الشيخ

(١) محمَّد جواد عبد الجاسم، المصدر السابق، ص٩٠.

(٢) عبد العظيم عبَّاس الجوذريّ، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٣) هـو نجـل الشيخ مهـدي القرشـيّ، ولد في مدينـة النجف عـام ١٣٠٠هـ، درس المقدِّمات الدراسيَّة، وتتلمذ على يده عدد كبير من رجال الدين، توفِّي في النجف عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م. للمزيد ينظر: عبد الجبَّار الساعديّ، العلويّ الغريب، المصدر السابق، ص١٤٤.

(٤) الشيـخ محمَّـد كاظم عبد العظيـم الطباطبائيّ اليـزديّ: ولِد سنة ١٢٥٢ مـن أسرة فقيرة وأب فـلَّاح، دخل المـدارس لتعلُّم القراءة والكتابة، وانتقل إلى يـزد وتتلمذ على يد أساتذتها، ودرس الفقـه والأصول الدينية، ثمَّ عاد إلى النجف في ١٢٨١هـ. للمزيد ينظر: كامل سلمان الجبوريّ، السيِّد محمَّد كاظم اليزديّ، سيرته وأضواء على مرجعيَّته، قم، ١٣٨٥، ص٨-١٢.

عبد الكريم الجزائري[١].

الشيخ قاسم محي الدين:

كان الشيخ قاسم بن حسن بن موسى محي الدين (١٨٩٩-١٩٥٧) يدرِّس الطلَّاب، في مكان سكنه في النجف، مقدِّمات الأدب وبعض الفنون، وتميَّز بموهبة نظم الشعر، واشتُهِرت مجالسه بالأدب العربيّ و كتابه الشعر، وكان يعقد مساء كلِّ يوم مجلسًا أدبيًّا فيه النحو والبلاغة والعروض وأصول الفقه، وكان يتردَّد عليه العلَّامة السيِّد عليّ شبَّر، والسيِّد محمود الحكيم، وطغى على أغلب جلسات المجلس جدليَّة المناقشة، تولَّى الوكالة الدينيَّة في القاسم بعد وفاة القرشيّ، ومع ذلك لم ينقطع عن مجالسه الدينيَّة والبلاغيَّة، إذ كان يقيم مجلسه في الصحن القاسميّ الشريف، وكان مجلسه عامرًا بأهل العلم والمعرفة، فترى فيه الموظف والشاعر والكاسب والأديب والبسيط، وهو قطب الرحى بينهم، يقرِّب وجهات النظر، ويغيِّر مجرى حديثهم إذا احتدم نقاشهم، بمزحه أو ببيت شعر جميل يلطِّف به جوَّ المجلس، لاسيما أنَّه كان مرحًا معتدلًا، تظهر عليه خفَّة الروح وطيب السريرة، وله عدَّه مؤلَّفات، منها الشعر المقبول في رثاء الرسول، ديوان العلويَّات العشر، والبيان في شرح غريب القرآن، بقي الشيخ قاسم في المدينة، واستقرَّ فيها بعد تولِّيه الوكالة حتَّى وفاته[٢].

يُعتقَد أنَّ بداية تأسيس الحوزة العلميَّة في القاسم لم تكن بشكلٍ رسميّ، وإنَّما اجتهاد من بعض رجال الدين لتمثيل المرجعيَّة في النجف الأشرف، والدليل على ذلك عدم وجود مؤسَّسة رسميَّة للحوزة العلميَّة في المدينة حتَّى منتصف الستينيَّات، واقتصر دور ممثِّلي المرجعيَّة في عقد المجالس الحسينيَّة داخل الصحن الشريف، وحلِّ المشاكل

(١) عبد الجبَّار الساعديّ، المصدر سابق، ص١٤٤.

(٢) عبد الرزاق محي الدين، الحالي والعاطل، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١، ص٨٠.

بـين الناس، بسبب ما لديهم من مكانه دينيَّـة واجتماعيَّة، والتوضيح والإفتاء في المسائل البسيطة المختلفة.

الشيخ محمَّد الخاقانيّ:

تولَّى الشيخ محمَّد الخاقانيّ (١٨٩٤-١٩٦٥)[١] أمور إرشاد الناس في مدينة القاسم بعد وفاة الشيخ محي الدين، إذ إن أهل مدينة القاسم كانوا يرجعون إلى أبيه المجتهد الشيخ حسن الخاقانيّ في بعض المسائل الشرعيَّة في النجف، ممَّا دفعه إلى إرسال ابنه الشيخ محمَّد الخاقـانيّ إلى مدينة القاسم، وترجع إليه البدايات الأولى في تأسيس مكتبة الإمام القاسم في داخـل الصحـن الشريف، والتـي أصبحت فيما بعـد ملتقى لكلِّ مَـن يطلب الثقافة والحصـول عـلى المعرفة، وكان له دور واضح في إنشاء مـشروع فتح جدول ماء القاسم الموجـود حاليًّا، ويشقُّ المدينة من وسطها وصولًا إلى القرى والأرياف المحيطة بالمدينة؛ لسقـي المزروعـات، لكنَّـه لم يستقر في المدينـة، إذ كان دائم السفـر إلى النجف من أجل الدراسـة، وفي عام ١٩٦٢م توفِّي والده الشيخ حسن الخاقانيّ، فحلَّ محلَّه في أقامة صلاة الجماعـة في حسينيَّة التستريَّة في النجف، ممَّا أدَّى به إلى ترك مدينه القاسم، وقلَّ حضوره إليهـا، إلَّا أنَّه من الملاحَظ عليه خلال إقامته في المدينة، كان قليل الاختلاط بالناس، ولم يـؤم الناس للصـلاة، أو إقامة مجلس للإفتاء مفتوح للجميـع، بل اقتصرت علاقاته مع بعـض البيـوت، وزيارتها، أو الجلـوس في ركن الصحن الشريـف؛ ليقلِّب بعض كتب مكتبته، التي سعى إلى تطويرها من خلال إضافة عدد من الكتب إليها[٢].

(١) درس الشيـخ محمَّد حسن الخاقانيّ مقدِّمات العلوم الدينيَّة من فقه وأصول على يد أبيه الشيخ حسن الخاقانيّ المولود ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٤م، والمتوفَّى ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، وبعض علماء عصره، واشترك في ثوره العشرين ضدَّ الاحتلال البريطانيّ. للمزيد ينظر: عبد الجبَّار الساعدي، المصدر السابق، ص١٥٤-١٥٦.

(٢) محمَّد جواد عبد الجاسم، المصدر السابق، ص٩١.

الشيخ محمَّد تقي الجلاليّ:

يعدُّ الشيخ محمَّد تقي الجلاليّ أوَّل من شكَّل نواة الحوزة العلميَّة في مدينة القاسم، عندما انتقل من زرباطية ممثِّلًا للسيِّد الحكيم إلى مدينة القاسم عام ١٩٦٥م، بعد وفاة محمَّد الخاقانيّ. كان من عائلة عُرِفت بالصلاح والعلم والتقوى، درس في كتاتيب كربلاء والمدارس الرسميَّة، وبدأ الدراسة الدينيَّة على يد جدِّه لأمِّه السيِّد محمَّد هادي الخراسانيّ الكربلائيّ، وكان ملازمًا لبحث آية الله الإمام الخوئيّ، وحضر فقه الإمام الحكيم، عمل قبل قدومه إلى القاسم في ضواحي السماوة والديوانيَّة والرميثة[١].

في البدء كان للجلاليّ حضور أُسبوعيّ يلقي فيها المحاضرات، حتَّى استطاع تكوين قاعدة شعبيَّة له[٢]، وعند تعيينه مرشدًا دينيًّا في القاسم، ذهب وفد كبير إلى الإمام الحكيم من أجل الإبقاء على السيِّد الجلاليّ عندهم، إذ كان الإمام الحكيم في تلك المدَّة قد اختاره وكيلًا له في دولة قطر، وهو فضَّل مدينة القاسم؛ لقربها من النجف؛ لغرض إكمال دراسته العليا.

للجلاليّ مؤلَّفات في مختلف العلوم، كالفقه والأصول والنحو وعلم الكلام والمنطق، ومنها القطرة من فقه العترة، الحديقة الورديَّة في إرث شرح اللمعة الدمشقيَّة، شرح كفاية الأصول، حاشية على معالم الأصول، الهديَّة السنيَّة في ردِّ الصوفيَّة، شرح الخطبة الشقشقيَّة، جواهر الأدب في المبنيِّ والمعرَب، البداءة في علمَي النحو والصرف، وتاريخ الروضة القاسميَّة، وفي بداية استقراره في المدينة

(١) قاسم محمَّد الحِلِّيّ الأسديّ، من أيَّام الجلاليّ في القاسم، مطبعه النعمان، النجف، ١٩٧٦، ص٣٢.

(٢) محمَّد جواد عبد الجاسم، المصدر السابق، ص٩١.

عزم على تأسيس حوزة علميَّة تدرَّس فيها مقدِّمات العلوم من فقه وأصول وعقائد ومنطق وبلاغة، وكان ذلك في عام ١٩٦٥م، تلقَّى هذا المشروع ترحيبًا كبيرًا، إذ تهافت عليه العشرات من السكَّان لتسجيل أولادهم في الحوزة، وفي بادئ الأمر كان يستخدم داره للتدريس، وبعد الانتهاء من تشييد المدرسة الدينيَّة عام ١٩٦٦، انتقل إليها[1].

شرع ببناء المدرسة الدينيَّة في القاسم في ١٥ شوَّال ١٣٨٥هـ في عرصة خان الوقف للشيخ خزعل الكعبيّ أمير المحمَّرة، بعد أن تقرَّر منحه إيَّاها لبناء دار لسكنه، إلَّا أنَّه بنى نصفها مدرسة، والنصف الآخر دارًا له، إذ كانت سبعة دكاكين مشيَّدة على عرصة الخان، وبني فوق المدرسة غرف ملحقة بالمدرسة المذكورة، وأصبحت في عام ١٩٦٥م مدرسة ذات طابقَين تحتوي ١٨ غرفة لسكن الطلبة، إذ لكلِّ طالب في المدرسة حقُّ السكن في غرفة منها، وعند الحاجة ينظمُّ إليه طالب آخر مع مراعاة المصلحة، والمدرسة مجهَّزة بمبرِّدات ومدافئ وحمَّامات شتويَّة وصيفيَّة، ومرافق أخرى، وقاعات للمحاضرات والضيوف والاجتماعات، من خلال جمع أموال التبرُّع من أهالي المدينة، بمساعده الإمام الحكيم بمبلغ ٣١٣ دينارًا، مضافًا إلى ثلث أموال المغفور له الحاج كاظم الفرحان، وعند الانتهاء كان السيِّد الجلاليّ يباشر التدريس في أيَّام الأربعاء والخميس والجمعة، وجلب لها مدرِّسين من النجف؛ لتدريس المواد القادرين على تدريسها، فضلًا عن الطلبة المتمكِّنين الذين يملكون القابليَّة على إلقاء الدروس، وكان يجري في المدرسة امتحان موسميّ في شهر شوَّال وأوَّل شهر صفر، والامتحان النهائيّ في نهاية كلِّ دور، ومن يرسب في درس واحد في الامتحان النهائيّ، فهو من الناجحين، وعليه أعاده ذلك الدرس في الدور المقبل الناجح إليه، حتَّى يُعاد امتحانه فيه، ومن يرسب في درسَين

(١) حيدر الحاج قاسم الأسديّ، قبس من سيرة الشهيد السعيد السيِّد محمَّد تقي الحسنيّ الجلاليّ، مؤسَّسة بني الزَّهراء للطباعة والنشر، قم، ١٤٢٣، ص٧١.

فهـو راسب، وللسلوك درجة خاصَّة في الحوزة، وهي مئـة درجة، ولكلِّ مخالفة تنقص منهـا درجة أو درجات، فإن كانت الدرجـة ٥٠ فما فوق، فهو ناجح، وإلَّا فهو راسب، وتدخل في سجلَّات نتائج الامتحان[١].

أعلـن الجلاليّ في أوَّل خطبة أنَّ الكتاب خير صديق، فمـلأ المكتبة القاسميَّة، وزاد عـلى كتبها، وجعلها بدلًا مـن الغرفة غرفتَين، ووصل عدد كتبهـا إلى (١٩٠٠) كتاب، ووسَّعها، حيث كانت تقع في الركن الشرقيّ من الصحن، وعند افتتاح المدرسة الدينيَّة، نقـل المكتبـة إليها، لتحتلَّ الجهة العليـا من الطابق العلـوي[٢]، وفي ١٩٦٧ قام بتجديد الحسينيَّة في صحـن القاسم، الواقعة بالركن الشماليّ من الجانب الغربيّ لصحن القاسم، وذلـك بإضافة غرفة واحدة من غـرف الصحن الشريف، وسـت أواوين، التي كانت إمام الحسينيَّة، وإيوان تلك الغرفة، وكان البناء حديث طوله ٢١م وعرضه ٦م وارتفاع ٥م، وإمامها شبَّاك من الحديد على طولها وارتفاعها، وعليه زجاج سميك، وكلَّف البناء ١٥٠٠ دينـار، وكذلك بناء حسينيَّة لأهالي القاسـم[٣] في عام ١٩٧٠ في كربلاء، منطقة باب طويريـج (الهنديَّة)، بجوار الفقيه ابن الحمـزة، بالكونكريت المسلَّح، وديوان عند مدخل الحسينيَّة، ومرافق متفرِّقة بكلفة (٩٠٠٠) دينار[٤].

(١) قاسم محمَّد الحِلِّيّ الأسديّ، المصدر السابق، ص٥٤-٥٧.
(٢) عليّ فريش المطراوي، المصدر السابق، ص ٢٧٢.
(٣) قـام بتشييدهـا السيِّد محمَّد تقـي الجلالي بمساعده اهـالي القاسم ومساعـي الحاج علي خضير الساعدي في عام ١٩٧٠م. للمزيد ينظر: قاسم محمَّد الحِلِّيّ الاسدي، المصدر السابق، ص ٦٨.
(٤) حيدر الحاج قاسم الاسدي الحِلِّيّ، المصدر السابق، ص ٧٣.

الخاتمة

شغلت ظاهرة تشكُّل المدن في حيِّز طيَّات البحث أهميَّة كبيرة جدًّا، لكونها مازجت بين ظواهر متعدِّدة لتشكُّلها بصفتها الفريدة، وقد تحقَّق أن جمع فيها الموقع المهم مع الوافد المقدَّس بمجيء الإمام القاسم ابن موسى الكاظم عليهما السلام، وفيه شاهدنا تفاعل الناس مع السكَّان المحليِّين المتناثرين على حدود المنطقة دون التركيز، ونقطة شروع المدينة وفق ما تبيَّن جاء من مدفن الأمام القاسم عليه السلام فيها، وكان هذا يجرى بطريقة سلسة جدًّا، وصفة المقدَّس أصبحت عامل الجذب، فوجد عامَّة الناس بكلِّ طبقاتهم مكان بعينه للإقامة، ومالوا إلى الاستحواذ على الأرضي قرب مرقد الأمام، وعندما بدأ الناس يقدمون إلى التبرُّك، بدأ هؤلاء في بناء الخانات والأسواق، وهو ما فُسِّر على أنَّه كينونة المدينة، في الوقت نفسه، لاحظنا أنَّ العامل الثاني أخذ يعزِّز من قوَّة العامل الأوَّل، فوجود الناس بحاجة ماسَّة إلى الخيرات والصفات التي تحويها المنطقة، من مياه وأرضٍ خصبة، لذلك امتزج العاملان، فتوسَّعت المدينة ومعالمها.

أيًّا تكن فكرتنا عن حدود المدينة واقتصادها، فلا شكَّ أنَّ المرقد المقدَّس بوصفه الكيان الأساس للمدينة، وأخذ الناس ينظرون إليه بوصفه خطوطًا قويَّة وثابتة لرسم خريطة الوجود، فأصبحت الحاجة ماسَّة إلى تشكيل المؤسَّسات الخدميَّة والتعلميَّة، سواء كانت الحكوميَّة أو الأهليَّة، ومن ناحية أخرى شعرت الحكومة بأهميَّة المدينة، فرفعت من مستواها الإداريّ لتكون ناحية قائمة بذاتها.

وساعد محتواها الدينيّ أيضًا على إقامة أواصر قويَّة ومتينة مع حوزة النجف الأشرف، فقد حرصت الحوزة العلميَّة على أن تجعل لها ممثلًا في مدينة القاسم عليه السلام منذ التأسيس، فنشأت نخبة دينيَّة وفكريَّة، أصبح لها دور كبير في تاريخ مدينة الحِلَّة والعراق.

قائمة المصادر

الوثائق

- مفتش الإدارة العامَّة، مذكرة رقم ١٤٦٤/ ١٤/ ٧/ ١٩٣٥، تفتيش ناحية القاسم، ملفَّات البلاط الملكيّ.

المصادر والمراجع

- حسين أحمد البراقيّ النجفيّ، تاريخ الكوفة، حرَّره وأضاف إليه محمَّد صادق بحر العلوم، ط٤، بيروت، ١٩٨٧.
- حميد محمَّد الكعبيّ، شريك الإمامة القاسم بن موسى الكاظم عليه السلام، منشورات دار الفرات للثقافة والإعلام، الحِلَّة، ٢٠١٦.
- حيدر الحاج قاسم الأسديّ، قبس من سيرة الشهيد السعيد السيِّد محمَّد تقي الحسنيّ الجلاليّ، مؤسَّسة بني الزَّهراء للطباعه والنشر، قم، ١٤٢٣.
- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، المجلد ٣، بيروت، ١٩٥٧.
- صفيِّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحقِّ البغداديّ، مراصد الاطِّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق عليّ محمَّد البجاويّ، ج١، بيروت، ١٩٥٤.

- عبد الجبَّار الساعديّ، العلويّ الغريب القاسم ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، ط٣، بيروت، ٢٠٠١.
- عبد العظيم عبَّاس الجوذريّ، القول الحاسم في تاريخ مدينة القاسم، ط٣، بغداد، ٢٠١٣.
- عبد العظيم عبَّاس الجوذريّ، الحوزة العلميَّة والمدرسة الدينيَّة في مدينة القاسم، دار الفرات للثقافة والإعلام، بابل، ٢٠١٧.
- عبد العظيم عبَّاس الجوذريّ، ومضات من تاريخ مدينة القاسم، بغداد، ٢٠٠٠.
- عليّ فريش المطراويّ، حياة الإمام القاسم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، بيروت، ٢٠١٦.
- قاسم محمَّد الحِلِّيّ الأسديّ، من أيَّام الجلاليّ في القاسم، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٦.
- كامل سلمان الجبوريّ، السيِّد محمَّد كاظم اليزديّ سيرته وأضواء على مرجعيَّته، قم، ١٣٨٥.
- كريم مطر الزبيديّ وآخر، صفحات من تاريخ الحِلَّة، الأردن، ٢٠١٩.
- حمد جواد عبد الجاسم، القاسم مدينتي، بيروت، ٢٠١١.
- حمد حرز الدين، مراقد المعارف، علَّق عليه وحقَّقه محمَّد حسين حرز الدين، ج٢، النجف، ١٩٧١.
- حمد عليّ عابدين، القاسم ابن الإمام موسى الكاظم، بغداد، ١٩٧٨.

- محمَّـد مرتضى الحسينيّ الزبيـديّ، تاج العروس، تحقيـق مصطفى الحجازيّ، راجعه عبد الستَّار أحمد فرَّاج، ج١٢، الكويت، ١٩٧٣.
- يوسف كركوش الحِلِّيّ، تاريخ الحِلَّة، القسم السياسيّ، النجف، ١٩٦٥.

البحوث والدراسات

- يوسـف كاظم الشمَّريّ، حمدية صالح الجبـوريّ، مدينة سورا قراءة في نشأتها وآثارهـا الفكريَّـة والعمرانيَّـة والجغرافيَّة، مجلَّـة لارك للفلسفـة واللسانيَّات والعلوم الاجتماعيَّة، الجزء ١، العدد ٣٢، ٢٠١٨.